

ثورة العبيد في غزة.. وبيرني ساندرز

كتبه نورمان فينكلشتاين | 15 أكتوبر، 2023



ترجمة وتحرير: نون بوست

أصدر المرشح الرئاسي التقدمي السابق بيرني ساندرز، يوم 12 تشرين الأول/أكتوبر الماضي، بياناً ثانياً بشأن المذبحة في "إسرائيل" وغزة، وكان جوهر ما قاله هو إنه قبل السابع من أكتوبر، كان كل شيء يسير بشكل أو بآخر في اتجاه النضال من أجل العدالة؛ حيث قال:

"لسنوات عديدة، ناضل أصحاب النوايا الحسنة في مختلف أنحاء العالم، بما في ذلك بعض الإسرائيليين الشجعان، ضد الحصار المفروض على غزة، والإذلال اليومي للاحتلال في الضفة الغربية، والظروف المعيشية المروعة التي يواجهها العديد من الفلسطينيين".

ولكن بعد ذلك جاء "الهجوم الإرهابي الذي شنته حماس"، والذي شكل "نكسة كبرى لأي أمل في تحقيق العدالة للشعب الفلسطيني"، و"سيزيد من صعوبة معالجة هذا الواقع المأساوي".

وهذا هو التحقق من هذا الواقع، "منذ سنوات" لم يفعل أحد أي شيء لإنهاء الحصار على غزة، لا بيرني، ولا أنا، لا أحد، لقد تُرك سكان غزة - 70% منهم لاجئون (من حرب 1948) ونصفهم من الأطفال - ليعانون ويموتوا فيما وصفه عالم الاجتماع في الجامعة العبرية باروخ كيمرلينغ بأنه "أكبر معسكر اعتقال على الإطلاق"، إن "أصحاب النوايا الطيبة في جميع أنحاء العالم" لم يكونوا "يناضلون ضد الحصار"، لقد تخطى العالم الأمر، ففي عشية 7 تشرين الأول/أكتوبر، كانت إدارة بايدن تعمل

على التوصل إلى اتفاق مع السعودية من شأنه أن يجعل أي احتمال لتحقيق “العدالة للشعب الفلسطيني” لاغياً وباطلاً.

إسرائيل ليست “في حالة حرب” مع كيان أجنبي، ناهيك عن دولة أجنبية، غزة جزء لا يتجزأ من إسرائيل، وكما قالت منظمة “بتسيلم” الرائدة في مجال حقوق الإنسان في إسرائيل قبل بضع سنوات، فإن “هناك نظامًا واحدًا يحكم المنطقة بأكملها من نهر الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط على أساس مبدأ تنظيمي واحد، هو “التفوق اليهودي” ، وما حدث في 7 تشرين الأول/أكتوبر كان بمثابة ثورة العبيد داخل إسرائيل.

أكبر ثورة للعبيد في تاريخ الولايات المتحدة ضد “التفوق الأبيض” قادها نات تيرنر، كان تيرنر متعصبًا دينيًا، وكان يعتقد أن الثورة كانت وحيًا بها من الله، وإليك كيف تصف ويكيبيديا ما حدث بعد ذلك:

“انتقل المتمردون من منزل إلى منزل، وحرروا العبيد وقتلوا العديد من البيض الذين واجهوهم...”، ويقول المؤرخ ستيفن ب. أوتس أن تيرنر دعا مجموعته إلى “قتل كل الأشخاص البيض”...، واعتقد تيرنر أن العنف الثوري من شأنه أن يوقف مواقف البيض تجاه حقيقة الوحشية المتأصلة في احتجاز العبيد، وقال تيرنر إنه يريد نشر “الرعب والذعر” بين البيض.

ورغم أن العشرات من الأبرياء البيض قُتلوا عمدًا، إلا أن تمرد نات تيرنر يحتل الآن مكانة مرموقة في التاريخ الأمريكي.

أثار تمرد تيرنر هستيريا إبادة جماعية بين البيض، وللحصول على موقف أخلاقي في هذه اللحظة المشحونة، من المفيد الاطلاع على **البيان الذي أصدره ويليام لويد جاريسون، المؤيد لإلغاء عقوبة الإعدام مباشرة بعد الثورة:**

“إن ما تنبأنا به منذ فترة طويلة، مع تعرضنا لخطر وصمنا كمثيرين للقلق، قد بدأ يتحقق، لقد أخذت الخطوة الأولى من الزلزال، والتي تهدف في النهاية إلى زعزعة نسيج القمع، دون ترك حجر على حجر، لقد سقطت أولى قطرات الدم، والتي ليست سوى مقدمة لطوفان من السُحُب المتجمعة، لقد شعرنا بأول وميض من البرق، وهو الردى والهلكة، إنه النحيب الأول للثكل، وهو لبس الأرض للمسوح، قد مزق آذاننا”.

“جريمة القمع وطنية، والجنوب هو العامل الوحيد في هذا المرور المذنب. لكن تذكر! نفس الأسباب يجب أن تنتج حتمًا نفس النتائج؛ وعندما يبدأ الصراع مرة أخرى، فلا بد أن تحدث حرب إبادة مرة أخرى، وفي هذه الحالة لن تكون هناك شفقة ولا رحمة.

لكننا قتلناهم وهزمناهم الآن، ويمكننا أن نفعل ذلك مرارًا وتكرارًا، فنحن لا نقهر! إنه انتصار غادر، سوف تصبح أمة من الظالمين، الرضا الذاتي المقيت، الذي يمكن أن يجعلنا نفكر، دون انفعال، في إبادة السود! لدينا القدرة على قتل الجميع، لذلك دعونا نستمر في استخدام السوط وتشكيل قيود جديدة!

في الغضب على الثوار من سيتذكر مظلهم؟ ما الذي سيفيدهم، على الرغم من أن قائمة معاناتهم، التي تقطر بالدماء الدافئة الطازجة من أجسادهم الممزقة، يتم تقديمها لتخفيف وطأة سلوكهم؟ يكفي أن الضحايا كانوا من السود، وهذا الظرف يجعلهم أقل قيمة من الكلاب التي ذبحت في شوارعنا! لقد كانوا سودًا – متوحشين، يتظاهرون بأنهم رجال – لتنزل اللعنات تترى على ذاكرتهم! لقد كانوا سودًا – لقد خلقهم الله لخدمتنا!

أيها المنافقون الوطنيون! أيها المادحون للفرنسيين واليونانيين والبولنديين! أيها المنادون بالحرية! أيها الشجعان المتمسكون بالمساواة في الحقوق فيما بينكم! يا كارهي الأرسقراطية! يا مهاجمي الملكيات! أيها الرافضون الجمهوريون! أيها المنشقون الخونة! كونوا أغبياء! لا تلقي باللوم على سلوك العبيد، بل حمل نفسك مسؤولية الإدانة!

أنتم تتهمون أصدقاء المحيط الهادئ للتحرر بتحريض العبيد على الثورة، ردوا التهمة باعتبارها فرية. العبيد لا يحتاجون إلى المحفزات بين أيدينا، سيجدونها في ضرباتهم التي تلقوها، في أجسادهم الهزيلة، في كدحهم المتواصل، في عقولهم الجاهلة، في كل حقل، في كل واد، على كل تلة وجبل، حيثما حاربتم أنتم وآباؤكم من أجل الحرية، في خطبكم، ومحادثاتكم، واحتفالاتكم، ومنشوراتكم، وصحفكم، أصوات في الهواء، أصوات عبر المحيط، دعوات للمقاومة من فوقهم، ومن تحتهم، ومن حولهم! ماذا يحتاجون أكثر من ذلك؟ محاطين بمثل هذه التأثيرات، ويشعرون بالألم تحت جراحهم الجديدة، هل من العجيب أن ينهضوا للنضال – كما فعل الأبطال الآخرون – من أجل حقوقهم المفقودة؟ انه ليس أمرًا عجيبيًا.

فهل في كل ما كتبناه ما يبرر تجاوزات العبيد؟ لا، ومع ذلك، فإنهم لا يستحقون اللوم أكثر من اليونانيين في تدمير الأتراك، أو البولنديين في إبادة الروس، أو آباءنا في ذبح البريطانيين، رهيب حقًا هو المعيار الذي أقامته الوطنية الدنيوية!

أما بالنسبة لنا، فقد أصابنا الرعب من الأخبار الأخيرة، لقد بذلنا قصارى جهدنا لتجنب الكارثة، وحذرنا مواطنينا من خطورة الاستمرار في سلوكهم غير العادل، لقد بشرنا العبيد بوصايا يسوع المسيح السلمية، وناشدنا المسيحيين والمحسنين والوطنيين لمساعدتهم في إنجاز العمل العظيم للخلاص الوطني من خلال القوة الأخلاقية – الرأي العام – والواجب الفردي، كيف تم استقبالنا؟ لقد تعرضنا للتهديد، والحظر، والتشهير، والسجن، والسخرية، والتوبيخ، فهل سنتعثر أمام هذه الأمور؟ دع الوقت يجيب، فإذا كنا حتى الآن متعجلين وجريئين ومستنكرين في جهودنا، فسوف نصح فيما بعد عنيفين ونشطين مع تزايد الخطر، سنصرخ بالأبواق ليلاً ونهارًا: ويل لهذه الأرض الآتمة إن لم تتب سريعًا عن أفعالها الشريرة، دماء الملايين من أبنائها تصرخ بصوت عالٍ من أجل الإنصاف! التحرر الفوري هو وحده القادر على إنقاذها من انتقام السماء، وإلغاء دين العصور!

وتجدر الإشارة إلى أنه في حين أن ويليام لويد جاريسون ذكر أن “تجاوزات العبيد” لا يمكن تبريرها وأنه “شعر بالرعب من الأخبار المتأخرة”، فإنه لم يدن ثورة العبيد.

موقع الكاتب نورمان فينكلستين

